قاسية انتهت عام ١٢٩١ بعد سقوط حصن عكا، آخر حصن للأوروبيين في فترة السلطان المملوكي أشرف خليل. (وتقسم الحملات الصليبية من حيث المراحل الزمنية إلى ثلاث، الأولى استولى فيها الصليبيون على القدس وأسست المملكة اللاتينية التي امتدت من بيروت إلى دير البلح إضافة لولاية البلقاء الأردنية، واستمرت حتى ١١٤٤م، والثانية بدأت بردود الفعل الإسلامية التي بدأها عماد الدين زنكي، وأنتهت بانتصار صلاح الدين الأيوبي، والثالثة هي مرحلة المناوشات والحروب الصغيرة في القرن الثالث عشر وقد انتهت بإخراج الصليبين نهائياً من البلاد)[٥٣].

أما بداية الغزو الفرنجي فكانت أن تجمعت جيوش أوروبا الغربية في القسطنطينية التي كانت تخضع للإمبراطورية البيزنطية، وشرعت بالزحف عام ١٠٩٩ الذي استمر سبعة أعوام فسقطت سوريا وفلسطين بما فيها القدس التي ارتكبت فيها مذبحة فظيعة راح ضحيتها عشرات الآلاف غالبيتهم من المسلمين وأقلية يهودية. وأحد شعراء القرون الوسطى وصف المجزرة كما كتب زوباروف (الصليبيون في الشرق) (الإفرنج يجوسون المدينة / شاهري السيوف / لا يشفقون على أحد حتى الذين يتوسلون الرحمة / سقط شعب من الكفار تحت ضرباتهم مثلما / تسقط الجوزات المهترئةعن شجرة البلوط التي يهزون أغصانها). وضحايا المذبحة يناهزون ٥٠ ألفاً، أما ابن الأثير فيذكر ٧٠ ألفا (منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين وقادتهم). والفرنسي غوستاف لوبون يقول (قطعت رؤوس بعض العرب وبقرت بطون بعضهم وقذف بعضهم من أعلى أسوار القدس وحرق بعضهم في النار... ولم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم ٦٠ ألفاً فافنوهم عن بكرة ابيهم)[٥٤].

وهناك من كتب (حاصر الفرنجة القدس ٤٠ يوماً، فانهارت مقاومة الحامية الفاطمية المكونة من ألف رجل، واقتحم الغزاة المدينة وفتكوا بأهلها، وبالغوا في القتل حتى غطت الجثث شوارع المدينة وأزقتها)[٥٥]. أما الدكتور فوزي فيشرح (في ٧/حزيران/١٠٩٩ عسكر الصليبيون أمام بيت المقدس. هاجموا بقوة مكونة من ١٣٠٠ فارس و١٢٠٠٠ من المشاة... قاوم افتخار الدولة إلى أن منحه ريموند الأمان إن سلم نفسه ورجاله فخرجوا إلى حامية عسقلان... أما من بقي في المدينة ولم يستطع الإفلات فتعرض لمذابح رهيبة... وقدم إلى بغداد جماعة من شهود العيان فوصفوا

---

٥٣) د. الحوت، مرجع سابق. ص١١٤. نقلا عن حتي ص٥٩٩

٥٤) لوبون، غوستان. حضارة العرب. دار الأحياء – القاهرة. ١٩٤٥ ص٣٥٣

٥٥) د. عثامنة، خليل. فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيرون ٢٠٠٦ ص٢٤